أثر السياق في دلالة زمن الفعل في العربية

د/ حمداد بن عبد الله
كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية
جامعة د/ مولاي الطاهر بسعيدة

ملخص:

إنّ الغاية التي أصبو إليها من وراء هذا المقال هو تبديد تلك الشبهة التي أثارها بعض المستشرقين، والمتمثلة في قصور العربية عن التعبير الزمني، وأنها لا تقوم إلا على الأزمنة الثلاثة ممّا تفيده الصيغة الصرفية ألا وهي الماضي والحاضر، والمستقبل علما أنّ معظم اللغات تلتزم بهذا التقسيم البسيط. وقد لحظ العالم اللغوي "فندرايس" على اللغات السامية بما فيها لغة الضاد من فقر في التعبير عن الدلالة الزمنية، أو خلط بين الأزمنة، غير أنّ تقسيم النحاة للزمن كان مبدئيا، فهو يتحول بفعل السياق، أو بحسب وروده في التركيب اللغوي. كما لا ينبغي أن يغيب عن الذهن غنى العربية بالأزمنة المركبة التي تُعبّر عن مختلف جهات الزمن، وهو متميزة في هذا الجانب عن بقية أخواتها الساميات، وقريبة من غنى الفعل اليوناني والغربي، أو بالأحرى أغنى منهما في بعض الأشياء. وإذا وقف النحاة على التقسيم الثلاثي، فقد اهتم هؤلاء أيضا برصد الفروق الزمنية الدقيقة الأساسية منها، والفروق النسبية الفرعية، وما يميّز ذلك في غالب الأمر القرائن السياقية المضافة إلى صيغ الأفعال.

الكلمات المفتاحية:

السياق، الماضي، المضارع، الزمن الصرفي، الزمن النحوي، الدلالة، التركيب، القرينة اللفظية والمعنوية.

تمهيد:

يعدُ الزمن أحد أهم ركيزتين في بنية الفعل، إلى جانب الحدث الذي يجري وينبسط فيه، وذلك أنّ الحدث لا يأتي في الجملة خاليا من الزمن، بل يكون هذا الأخير جزؤه ومعناه. ولعل أهمية الزمن في الفعل قد حدت ببعض اللغويين أن يجعلوه أهم ما يُفرق بين الفعل، وعناصر الكلم الأخرى، فهو حاضر في وضع الفعل مدلول عليه بلفظه

تضمينا غير مفارق إيّاه بحال. ويرد كذلك إلا في أحيان قليلة حيث يأتي الفعل مفرغا من الدلالة على الزمن، كما في أبنية الأفعال على "فَعُل" نحو: كرُم وظرف مثل: كَرُم محمد، فالمراد إثبات صفة، وليس الإعراب عن زمان ما.

أقسام زمن الفعل في العربية:

لقد كان للنحاة العرب القدامى تصور حول أقسام الزمن وكيفية التعبير عن هذه الأقسام، كما أنّ الأنام في كل زمكتن قد اصطلحوا على التقسيم الثلاثي للزمن أي الماضي، والمحاضر، والمستقبل ومعظم اللغات تلتزم بهذا التقسيم البسيط. وفي هذا سياق نلفي "سيبويه" يقسم زمن الفعل في العربية إلى ثلاثة أقسام، فيقول:" بنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع"[1]. وهكذا يكون الزمن حسب إمام النحاة ماض ومستقبل وحال. وإذا كان هذا التقسيم الثلاثي، فالأمر أكثر تعقيدا وإشكالا، "فاللغات كلما ارتقت وتقدم أهلها في مجالات الفكر، تتبين سلّما متدرجا من الأزمان المتنوعة في داخل كل قسم من تلك الأقسام الرئيسية"[2]. وفي هذا الموضع يمكن لنا أن نسأل: هل استطاع التعبير الزمني في العربية أن يفي بكل ما يتطلبه من تنويع وتفريع في ذلك السلم المتدرج من الأزمان؟ أم عجزت هذه اللغة عن هذا الإيفاء.

لقد شكّك "فندرايس" في مؤلفه العام عن اللغة في قدرة اللغات السامية على التمييز بين أزمنة الفعل المختلفة ممّا هو موجودة في اللغات الهندية الأوربية، فالعربية مثلها في ذلك كمثل سائر اللغات السامية لا يوجد للتعبير عن الزمن فيها إلا فعلان: التام أي ما انتهى فيه الحدث وهو الماضي، وغير التام أي ما لم ينته فيه الحدث، وهو المضارع، وهذا الفعل يستخدم فضلا عن دلالته على الحاضر للتعبير عن المستقبل"[3]. وهكذا يلحظ هذا اللغوي على اللغات السامية من فقر في التعبير عن الدلالة الزمنية أو خلط بين الأزمنة بما في ذلك لغة الضاد. وقد التفت بعض الباحثين إلى حكم فندرايس فوصموه بالمغالاة

---

(1) – سيبويه، أب وبشر عمر وبن عثمان: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، (1408هـ–1988م)، ج1، ص 12.

(2) – عبد الله بوخلخال: التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج1، ص 10.

(3) – المصدر السابق، وينظر: هنري فليش، العربية الفصحى، ط2، ص 1983، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ص 129.

والتعميم، وكان من أولئك الألماني برجستراسر، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم أنيس، وتمام حسان، وإبراهيم السامرائي، وفخر الدين قباوة.

والحق أنّ التقسيم للزمن لدى النحاة ينبغي أن ينظر إليه في معناه الزمني دون التركيب، ونعني به أنه تقسيم مبدئي، غير أنّ الزمن يتغير بحسب وروده في الجملة. كما أنّ التركيب يعطينا صورا جديدة في التقسيم الزماني، وذلك أنّ الأدوات والمجاز والتعابير الخاصة تتدخل في تشكيل العبارة، وتعطي الأفعال معاني زمانية لم تكن لها في صورتها الصرفية[4]. ولسنا نعجب من ذلك التقسيم حين نصغي إلى ابن يعيش وهو يقول:" لما كانت الأفعال مساوقة للزمان، والزمان من مقومات الأفعال، توجد عند وجوده، وتنعدم عند عدمه، انقسمت بأقسام الزمان، ولما كان الزمان ثلاثة: ماض وحاضر ومستقبل، وذلك من قبل أنّ الأزمنة حركات الفلك فمنها حركة مضت، ومنها حركة لم تأت بعد، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية كانت الأفعال كذلك: ماض ومستقبل وحاضر"[5]. كما يمكننا القول بأن هذا التقسيم للأزمنة الثلاثة الأساسية التي أقرها النحاة العرب ليس مقتصرا على اللغة العربية فحسب، بل تجاوز ذلك إلى اللغات الهندية الأوربية مع زيادة الصيغ الفعلية المعبرة عن الفروق النسبية لهذه الأزمنة، وبخاصة زمن الماضي والمستقبل، وأنّ الصيغة الفعلية في هذه اللغات تجري في السياق مجرى غير التي وُضعت له في الأصل، بحيث لا يمكن في بعض الأحيان معرفة دلالة الفعل الزمنية إلا داخل السياق اللغوي. " والمستشرقون عندما يعيبون الأجرومية العربية، لأنها تقصر الزمن الفعلي على ثلاثة أنواع فقط، فلا يوجد مثلا الماضي المستمر، والماضي المنقطع فهم واهمون أيّ وهم، فالحقيقة هي أنّ هذا موجود في العربية بكثرة ووفرة. إلا أنّ النحويين لم يتخذوا له اصطلاحا خاصا به"[6].

---

[4] – من محاضرة ألقاها د/فخر الدين قباوة على طلبة الدراسات العليا في مارس 1985م، بجامعة حلب، سوريا. وقد كنت من بين الحضور أي طالبا آنذاك.

[5] – ابن يعيش: شرح المفصّل، صحح وعلق على حواشيه، ومراجعة م طرف مشيخة الأزهر، غدارة الطباعة المنبرية بمصر، د.ت، ج7، ص 4.

[6] – عبد الجبار توامة: زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 76.

إنّ عجز اللغة العربية في التعبير عن الزمن ينفيه واقعها السياقي، فقد نظر عبد القاهر الجرجاني إلى صيغة الفعل الماضي مثلا من وجهة النظر البلاغية، والمقصود من حيث تواجدها ضمن تركيب لغوي تؤثر فيه وتتأثر به، فهي عنده وُضعت للزمن الماضي خاصة، وللأزمنة الأخرى عامة ذكر بعد أن قسم الأفعال ثلاثة أقسام، ضرب وانطلق، وهو للماضي خاصة، وقد يدل على الأزمنة الأخرى بقرينة[7]. وقد أوضح الدكتور تمام حسان هذا الموضوع أيّما إيضاح فذكر:" الزمن النحوي وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصفة، أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر والخوالف. والزمن بهذا المعنى يختلف عما يُفهم منه في الصرف، إذ هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق، فلا يستفاد من الصفة التي تفيد موصوفا بالحدث، ولا يستفاد من المصدر الذي يفيد الحدث دون الزمن، وحين يستفاد الزمن الصرفي من صيغة للفعل يبدو قاطعا في دلالة كل صيغة على معناها الزمني... أما في السياق النحوي فسنرى أنّ الزمن كما ذكرنا منذ قليل هو وظيفة في السياق يؤديها الفعل وغيره من أقسام الكلم التي تنقل إلى معناه"[8].

ولعلّ حسبان بعض المستشرقين الأوربيين أمثال فندرايس ونولد كه ورايت عدم إيفاء الزمن في اللغات السامية، وبخاصة العربية بكل الأغراض المستكنة في الجملة أو النص، واقتصار ذلك على التقسيم الثلاثي لكلام تنقصه الدقة ويعوزه الدليل العلمي. ومن أجل ذلك نقول: إنّ دراسة زمن الفعل بصيغة الماضي والمضارع والأمر لا ينبغي أن يُكتفي فيها بالناحية الصرفية الإفرادية، بل يتناول أيضا الناحية النحوية السياقية مع استعراض جميع القرائن التي تخلّص الفعل لجهة زمنية دون أخرى. وبناء على ما نورده سنلمس مدى انطباق ذلك على واقع النصوص العربية في سياقات متباينة، وكيف أنّ قرينة السياق أو المقام لها من الوسائل للتمييز بين أزمنة الفعل المختلفة مما هو مألوف في اللغات الهندية الأوربية.

---

(7) – ينظر: عبد القاهر الجرجاني، الجمل، تحقيق علي حيدر، دار الحكمة، دمشق، ط1972م، ص5، والسيوطي جلال الدين: همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تصحيح السيد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص 9، و
Flesch Henri, S.J., L'arabe classique, (esquisse d'une structure linguistique), Ed: Dar El machreq; Beyrouth, 1968, P: 114

(8) – تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص 240–241.

التعبير بصيغة الفعل الماضي عن الزمن:

يتفق نحاة العربية على أنّ صيغة الفعل الماضي وُضعت أصلا للدلالة على الزمن الماضي مطلقا، ولم تختص بزمان آخر من غير الماضي، ولا بجزء من أجزاءه إذا جاءت مجردة من القرائن السياقية، غير أنّ هذه الصيغة قد تُستعمل للدلالة على زمن الحال بدلا من المضارع، وهي تجيء كما يرى علماء البلاغة لنُكتة بلاغية، تنزيلا لحوادث الحال منزلة حوادث الماضي للإشارة إلى أنّ حدوثها واقع لا محالة كحوادث الماضي التي وقعت وأصبحت حقائق واقعية. ففي قوله تعالى:(**أوجاؤوكم حَصِرَتْ صُدورهم**)[9] ذهب الفراء إلى أنّ العرب تقول: أتاني ذهب عقله، يريدون قد ذهب عقله، وسمع "الكسائي" بعضهم يقول: فأصبحت نظرت إلى ذات التنانير[10]. واعتبر الفراء أنّ الآية فيها (قد) مضمرة قبل فعل (حصرت) فيكون التقدير أوجاؤوكم قد حصرت صدورهم، ولهذا قال الكوفية بدلالتها على الحال، وهو لا يتعارض هنا مع قول البصريين الذين اشترطوا اقتران (قد) مع الفعل الماضي إذا أريد به الدلالة على الحال مع إضافة الآن أو الساعة. كما يدل الماضي على الحال إذا ورد في تركيب إنشائي، وهو ما ألمح إليه السيوطي في قوله:" قد ينصرف الفعل الماضي للدلالة على الحال، وذلك إذا قُصد به الإنشاء كبعت واشتريت وغيرهما من ألفاظ العقود، إذ هو عبارة عن إيقاع معنى بلفظ يقارنه في الوجود"[11].

وقد يرد هذا الفعل دالا على الاستقبال بدلا من المضارع، وهو ما أومأ إليه النحاة وعلماء البلاغة، فقد ذهب الأنباري في هذا الصدد قائلا:" قوله تعالى (**أتَى أمرُ الله فلا تَستعجلوه**)[12]، أتى بمعنى يأتي، أقام الماضي مقام المستقبل لتحقيق إثبات الأمر وصدقه، وقد يُقام الماضي مقام المستقبل كما يُقام المستقبل مقام الماضي، فإقامة الماضي مقام المستقبل كقول الشاعر:

وكنت أرى كالموت من بين ليلة ..... فكيف بِيَيْنٍ كان ميعاده الحشرُ

---

[9] – سورة النساء، الآية 90.

[10] – ينظر: الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ط2، 1980، ج1، ص 282.

[11] – السيوطي: همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص 9.

[12] – سورة النحل، الآية 1.

أي: يكون ميعاده الحشر"[13]. ويرى الدكتور حسين نصار في هذا السياق أنّ استعمال الماضي للدلالة على الزمن الحاضر أو المستقبل، إنما هو التفات ذهني كي يبرز القائل تأكده من حدوث هذه الأفعال في الحال أو الاستقبال، وتيقنه من ذلك، وكأنما قد وقعت حقا وانتهى الأمر[14]. كما يعلل الأستاذ حامد عبد القادر هذا الاستخدام فيقول:" إنّ استعمال الماضي بدلا من المضارع إنما يكون كما يقول علماء البلاغة لنكتة بلاغية هي تنزيل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضي، للإشارة إلى أنّ حدوثها واقع لا محالة، مثلها في تحقق وقوعها في المستقبل مثل حوادث الماضي الذي وقعت، وأصبحت حقائق واقعية"[15].

ولقد أولى علماء اللغة هذا الجانب اهتماما بالغا فوضعوا له شروطا مستوحاة من نصوص العربية ومما تكلمت به العرب من فصيح لسانها ومنها:

أ-قد ينصرف الماضي للدلالة على الاستقبال إذا دلّ دليل على ذلك وهو الإخبار عن الأمور المستقبلة مع قصد القطع بوقوعها، وكأنها وقعت فعلا وهذا ما يفيده السياق اللغوي أو القرائن المعنوية، فقد ذكر أبو عبيدة:" إنّ العرب قد تضع (فعلنا) في موضع (نفعل)، وتمثل بقوله تعالى:(**أرسل الرياح فتُثير سحابا فسُقناه**)[16]. ومجاز (فسقناه) مجاز (فنسوقه)"[17].

ب- دلالة الماضي على الاستقبال بالإنشاء الطلبي سواء أكان دعاء نحو: غفر الله لك أو وعدا مثل قوله تعالى:(**إنا أعطيناك الكوثر**)[18]. وقد جعل "سيبويه" الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، نقول:

---

(13) – ابن الأنباري: البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق د/طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ج2، ص 74، وينظر: د/إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، الأنجل والمصرية، ط6، القاهرة، 1978، ص 172.

(14) –ينظر: حسين نصار، الأضداد في اللغة، اللسان العربي، مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، جامعة الدول العربية، الرباط، المملكة المغربية، المجلد 8، ج1، ص 112.

(15) – حامد عبد القادر: معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، 1958م، ج10، ص 112.

(16) – سورة فاطر، الآية 29، وينظر: سورة الأحزاب، الآية 50.

(17) – أب وعبيدة: مجاز القرآن، تعليق د/فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بمصر، 1954م، ج2، ص 152 و155.

(18) – سورة لكوثر، الآية 1.

زيدا قطع الله يده، وأمرّ الله عليه العيش، لأن معناه معنى: زيدا ليقطع الله يده، وقال أبو الأسود الدؤلي:

أميران كانا أخياني كلاهما ..... فكلاّ جزاه الله عني بما فعل[19]

وهكذا نلمح أنّ تركيب الدعاء مختص بالزمن المستقبل.

ج- الدلالة على الاستقبال مع أغلب أدوات الشرط، لأن هذه الأدوات قد تدخل على الفعل الماضي فتنقله إلى المستقبل. فقد ذكر أبو عبيدة أنّ:" العرب قد تضع (فعلنا) في موضوع (نفعل) قال الشاعر:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ..... مني وما يسمعوا من صالح دفنوا

في موضع: يطيروا ويدفنوا[20]. ومن يقف على أساليب الشرط يُلفي أنه قد يكون فعل الشرط وجوابه ماضيين لفظا ومعناهما الاستقبال كنحو قوله تعالى جدّه:(**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم**)[21]، وهو في الفصاحة بمستوى كونهما مضارعين. ولعل هذه الاستعمالات الملحوظة وغيرها كثيرة في العربية للدلالة على الحال أو الاستقبال بواسطة الفعل الماضي داخل تركيب لغوي معين ولغرض بلاغي مقصود من وراء هذا الاستقبال تشاركها فيه أخواتها السامية. كما أننا نلمح ما للسياق من اثر في توجيه دلالة الزمن. وأحسب في هذا الموطن أنّ ما ذهب إليه هنري فليش في نعته هذه اللغة أنها تقوم على زمنين هما التام (***Accompli***)، وغير تام (***Inaccompli***)، فحسب بمنأى عن الصواب.

التعبير بصيغة الفعل المضارع عن الزمن:

كانت صيغة الفعل المضارع مبهمة في دلالتها الزمنية غير مختصة بزمن واحد بل هي مشتركة بين الحال والاستقبال، وذلك هو سبب الخلاف بين النحاة حول وضعها الأصلي، ومتى تكون دالة على الزمن الثاني. ولعل أقرب الأقوال إلى الواقع اللغوي ما ذهب إليه الجمهور من الأوائل إلى اعتبار دلالة المضارع بلفظه على الحال والاستقبال إلاّ أنّ الدلالة الثانية دلالة مجازية، وهو ما ذهب إليه ثلة

---

(19) – ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص 142.
(20) – أب وعبيدة: مجازٌ القرآن، ج2، ص 152.
(21) – سورة الإسراء، الآية 7.

من النحويين منهم ابن السراج، والفارسي، وابن جني وكذا جلال الدين السيوطي، ولنا في السياق اللغوي خير دليل في تحديد زمن هذا الفعل.

يترجح الفعل المضارع للدلالة على زمن الحال دون غيره إذا كان مجردا من أي أمارة أو قرينة تخلصه لغيره من الأزمنة، وكان ذلك متجه أغلب النحاة، وهو ما نصّ عليه الرضي فأورد: " وقال بعضهم هو حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال وهو أقوى، لأنه إذا خلا من القرائن لم يحمل إلا على الحال، ولا يصرف إلى الاستقبال إلاّ بقرينة، وهذا شأن الحقيقة والمجاز، وأيضا من المناسب أن يكون للحال صيغة خاصة كما لأخويه"[22]. وقد سبقه إلى ذلك "ابن مالك" في قوله:" ويترجح للحال مع التجريد"[23]. لكن هؤلاء النحاة ذهبوا إلى أنّ الفعل يتعين للحال بقرينة خاصة بزمن الحال مثل الآن والحين والساعة وما كان في معناها من الظروف الدالة على ذلك. وإذا كان منفيا بـــ (ليس)، أو (ما)، أو (إن) أو بدخول "لام الابتداء" عليه عند الكوفيين.

وقد يدل المضارع على الاستقبال بلفظة دون اقترانه بأية علامة أو قرينة تعينه له، أو تخلصه لغيره، وهو في هذه الحالة يصلح له كما يصلح لزمن الحال، غير أنه يتعين للدلالة على زمن الاستقبال بعلامة أو قرينة مخلصة له، وذلك نحو ما هو آت:

أ-تعيين المضارع للاستقبال إذا اقترن بظرف مستقبل كغد وما كان في معناها نحو: غُدوة وبُكرة، وذلك ما نلمسه من قوله جلّت حكمته:(**أرسله معنا غدا يرتعُ ويلعبُ، وإنا له لحافظون**)[24]، وقوله أيضا:(**سيعلمون غدا من الكذّاب الأشر**)[25]. كما يدل على ذلك الزمن إذا أُسند إلى خبر متوقع حدوثه في المستقبل، لأن التوقع انتظار الوقوع في المستقبل غالبا. ومن نحو ذلك قوله تعالى: (**ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة**)[26]،

---

(22) – الرضي: شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج2، ص 226.

(23) – ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، حققه وقدم له محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م، ص5، وينظر:
Flesch Henri, S. J, P: 113

(24) – سورة يوسف، الآية 12.

(25) – سورة القمر، الآية 26.

(26) – سورة النساء، الآية 124.

وقوله: (**ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عُميا وبُكما وصُما**)[27]، كما يخصص هذا الفعل للاستقبال بالأمر والنهي والدعاء فقد يرد المضارع أمرا لاقترانه بـــ"لام الأمر" وتكون دلالته على الاستقبال، ومن نحو ذلك قوله جلّ ثناؤه:(**فبذلك فليفرحوا**)[28]. وقد بيّن المبرد ذلك فأورد:" إنما الأمر من الفعل المستقبل لأنك تأمره بما لم يقع"[29]، وكذلك يتعين بالنهي للدلالة على هذا الزمن، لأن النهي كالأمر من حيث الدلالة الزمنية، وهو ما أشار إليه المالقي عن كون "لا" تخلص المضارع للاستقبال لأنها نقيضة لـــ"تفعل"، فإذ قلت:" لا تفعل الآن" فعلى معنى تقريب المستقبل من الحال، كما تقول:" لتفعل الآن"[30].

ب- تخصيص المضارع للاستقبال غالبا مع أدوات العرض والتحضيض وهي: هلاّ، ولولا، ولوما، وألا، وذلك لأنها تضمنت معنى التخصيص والأمر نحو: هلا تقوم، وقوله تعالى:(**فلولا تشكرون**)[31]، وقوله:(**لوما تأتينا بالملائكة**)[32]، وقوله:(**ألا تحبون أن يَغفر الله لكم**)[33]. وعله اعتبار النحاة العرض والتحضيض يتخلص معه المضارع للاستقبال دون غيره لأنه طلب في المعنى ولأنه يقتضي هذا الطلب في الفعل. كما يتعين هذا الفعل للدلالة على الاستقبال بـــ"لا" النافية عند أغلب النحاة وبـــ"لن" اتفاقا. وبكون كذلك حين الدلالة على الوعد نحو قوله جلّ وعلا:(**يُعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء**)[34]، أما اقترانه بـــ"نوني" التوكيد و"لام" القسم ففي نحو قوله تعالى:(**ولئن لم يفعل ما آمره ليسجننّ وليكونا من الصاغرين**)[35]، وفي قوله: والله لأفعلنّ، وقد ترد "لام" القسم بغير "نون" التوكيد مع المضارع وتخلصه للاستقبال مثل: إنّ زيدا ليضرب وليذهب، ولم يقع الفعل، وقال "لبيد":

ولقد علمتُ لتأتين منيّتي ..... إنّ المنايا لا تطيش سهامها

---

(27) – سورة الإسراء، الآية 97.
(28) – سورة يونس، الآية 58.
(29) – المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1399هـ، ج1، ص 221.
(30) – ينظر: المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة 1975م، ص 268.
(31) – سورة الواقعة، الآية 70.
(32) – سورة الحجر، الآية 7.
(33) – سورة النور، الآية 22.
(34) – سورة المائدة، الآية 40.
(35) – سورة يوسف، الآية 32.

ودلالته على هذا الزمن بـــ"لا" النافية و"لن" تمثل في قولك: والله لا يفعل، ولن يفعل.

ج- الدلالة على زمن المستقبل مع أدوات الشرط سواء أكانت جازمة أم لا، وسواء كان شرطا أو جوابا وجزاء. وقد فضّل اللغويون العرب أن تدخل أدوات الشرط فعل الشرط وجوابه، ويكونا مضارعين لسلامة المضارع للدلالة على الاستقبال من غيره، فهو أولى بالتركيب الشرطي من الماضي. كما يتعين المضارع للدلالة على الاستقبال مع حروف النصب...الخ. ولعل هذا يؤكد ما ذهب إليه جمهور النحاة في صلاحيته للدلالة على الحال أو الاستقبال إذا كان مجردا من العلامات أو القرائن المخلصة له لأحدهما أو لغيرهما إلا أنّ الأرجح أنه إذا كان مجردا من أي علامة أو قرينة لفظية أو حالية فهو صالح للحال.

وقد يتحول المضارع من صلاحيته للحال أو الاستقبال إلى الدلالة على الأحداث الماضية الذي وُضعت له صيغة الماضي أصلا. وهذه الدلالة تكون مع اقترانه بالقرائن الخاصة بالزمن الماضي نحو: "لم" و"لما" لأنهما تدخلان على المضارع فتنقلان معناه إلى الماضي نحو: لم يقم أمس ولمَا يقِم، غير أنّ "لم" لنفي المضارع وجزمه ونقله إلى الماضي المطلق أما "لمَا" فهي لنفي المضارع وجزمه ونقله إلى الماضي القريب من الحال أو المستمر إلى الحال. ويكون المضارع دالا على الماضي إذا وقع خبرا لـــ"كان" في نحو قوله تعالى:(**وقد كان فريق مهم يسمعون كلام الله ثمّ يُحرّفونه من بعد ما عقلوه**)[36]. وقد أبان سيبويه هذه المسألة فنص:" تقول: كان عبد الله أخاك، فإنما أردت أن تخبر عن الأخوة، وأدخلت "كان" لتجعل ذلك فيما مضى[37]. وإذا دخلت "لو" و"لما" الشرطيتان على المضارع كان ماضيا كنحو قوله تعالى:(**لو يُطيعكم في كثير من الأمر لعَنِتّم**)[38]، وقد ذهب "الفراء" إلى تأويل الآية الكريمة:(**فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا**)[39]، فجعل (يجادلنا) (جادلنا) لأنه دل على الزمن الماضي[40]. ويأتي المضارع كذا دالا على ذا الزمن بعد "إذ"

---

(36) – سورة البقرة، الآية 75.
(37) – سيبويه: الكتاب، ج1، ص 45.
(38) – سورة الحجرات، الآية 7.
(39) – سورة هود، الآية 74.
(40) – ينظر: الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 23.

ضرب قوله جلّ وعلا:(**وإذ يرفع إبراهيم القواعد**)[41]، وقوله:(**وإذ يمكرُ بك الذين كفروا**)[42]، وقد حَوّلت هذه الأداة الاستقبال إلى الماضي، فأفصح السيوطي عن ذلك إذ قال:" أخرج ابن أبي حاتم عن طريق السدي عن ابن مالك، قال : ما كان في القرآن (إن) بكسر الألف فلِمَ يكن، وما كان (إذ) فقد كان"[43]، ولعل التركيز على الماضي والمضارع دون الأمر في الدراسة آيل إلى كونهما أكثر استخداما في كلام العرب وفي كل مستويات هذه اللغة.

وهكذا نلحظ أنّ صيغة الفعل المضارع واسعة الدلالة الزمنية في السياق اللغوي فهي تدل على الحال أو الاستقبال بوضعها الأصلي، وتعين إلى أحدهما بقرينة، وقد تدل على الزمان الماضي بدلا من الفعل الماضي، وذلك بقرينة لفظية أو معنوية مفيدة لذلك، وقد تأتي في السياق للدلالة على الأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل، وبخاصة إذا تواجدت الصيغة في القرآن الكريم أو أسندت إلى الله تعالى، فهي في أغلب الاستعمالات تفيد الاستمرار في الأزمنة الثلاثة. وربما هذا ما حدا بأحد الباحثين أن يرى أنّ دلالة المضارع الزمنية في الذكر الحكيم تشمل على وجه التقريب كل ما يمكن تصوُره من الأزمنة[44]. وهكذا يبرز للعيان ما للسياق وقرائنه من دور في تحديد الزمن النحوي، وما دام الزمن النحوي وظيفة في السياق يؤديها الفعل، فلابد أن تقوم القرائن الحالية والمقالية بدورها في تحديده، وإنّ علينا أن ننظر في هذا السياق لنكشف عن الزمن، وهو وسيلة نحوية يدخل في تحديد المعنى الصرفي، وبهذا نقف على أنّ الزمن وظيفة السياق، ولا يرتبط بصيغة معينة بل نختار الصيغة التي تتوافر لها القرائن التي تعين على تقييد معنى الزمن المراد في السياق. فلا غرابة إن كان الزمن الماضي آتيا في صيغة "فَعَل" أو "يفعلُ" ما دام يمكن بالقرينة المفرقة بين الأزمنة أن نختار أصلح الصيغ للدلالة على الزمن المراد

---

(41) – سورة البقرة، الآية 127.

(42) – سورة الأنفال، الآية 30.

(43) – السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أب والفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ج2، ص 173.

(44) – حامد عبد القادر: معاني المضارع في القرآن الكريم، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، ج3، 1961م، ص 152.

في سياق ما[45]. ونشير في هذا الصدد أن السياق ينقسم إلى سياق حالي يسمى "المقام" وسياق لغوي لفظي يتعلق بالتركيب.

غنى العربية بدقائق الزمن وجهاته:

لقد أفاض لفيف من الدارسين اللغويين في الرد على مزاعم القائلين بنقص الفعل العربي في الإعراب عن دقائق الزمن وجهاته، فالأستاذ العقاد يرى في رده على ما شاع عند الدارسين الغربيين أنه لا يحسب أنّ لغة نفهمها قد اشتملت على ما اشتملت عليه اللغة العربية من تفاصيل الزمن، فكل لحظة من لحظات النهار والليل قد كان لها شأنها في حياة سكان البادية فوجدت عندهم كلمات البكرة والضحى، والغداة والظهيرة، والقائلة والعصر، والأصيل والمغرب والعشاء، والهزيع الأول من الليل والهزيع الأوسط والموهن والسحر، والفجر والشروق. ويضيف في سياق آخر أنه ليس من الطبيعي أن يبلغ إحساس القوم بالوقت هذا المبلغ، ثم يخلو كلامهم من الدلالة على الإحساس به في مختلف مواضعه، ويرى أنّ العربية تستوفي في الواقع الدلالة على دقائق الزمن بأسلوبيها المعروفين في اللغات، وهما أسلوب الكلمات المستفادة من التصريف والاشتقاق، وفي الأدوات المصطلح على تخصيصها لمعانيها، وأسلوب التعبيرات التي تدخل في عداد الجمل والتراكيب[46]. ويرى الدكتور تمام حسان أنّ النظام الزمني في العربية مفصّل وثري وأنّ النحاة أهملوه لانشغالهم بالزمن الصرفي عن الزمن النحوي، وقد جعل من أهداف كتابه (العربية معناها ومبناها) بناء هذا النظام المفصّل للصيغ العربية[47]. كما ذهب السامرائي إلى أنّ الاستقراء دلّ على نضج الفعل العربي وقدرته على الإعراب عن دقائق الزمن[48]، وفضلا عما أوردناه فلا يغرب عن الذهن أنّ العربية تنطوي على ما يسمى بـــ"الأزمنة المركبة" التي هي فروع وجهات الأزمنة الثلاثة، ناتجة عادة عن تداخل أجزاء الزمن بعضها ببعض، وهكذا نجد أنّ الماضي أنواع، والمستقبل أنواع والحاضر أنواع. ففي مدارسة زمن الماضي وجهاته نألفه يتفرع عنه

---

(45) – تمام حسان: العربية معناها ومبناها، ص 248.

(46) – ينظر: عباس محمود العقاد، الزمن في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج14، ص 37–39.

(47) – ينظر: تمام حسان، الأصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص 6.

(48) – ينظر: إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، ط 2، بيروت، ص 25–26.

إلى جهات كالماضي المطلق أو البسيط العادي، والماضي القريب من الحاضر والماضي المتصل بالحاضر والماضي البعيد أو المنقطع، والاستمراري، والاستقبالي، ومثل هذا ينطبق على المستقبل فهناك المستقبل العادي، والمستقبل البعيد أو القريب، والمستقبل في الماضي، والاستمراري..الخ. وهذه الأنواع هي ما اصطلح على تسميته في علم اللغة الحديث بـــ"الجهة" (*Aspect*).

وفي الختام، نستطيع أن نقول مع ما أورده الدكتور حسن ظاظا من أنّ:" التعبير عن الزمن في الفعل أمر يحدده الأسلوب والسياق والملابسات، وبعض الأدوات الإضافية مثل السين وسوف، والأفعال الناقصة، ولن ولم وقد ونحوها، ومثل ذلك مطرد بشكل يشبهه في سائر اللغات السامية"[49]. وهذا دليل على أنّ وسائل التحديد الزمني في اللغات السامية غيرها في اللغات الهندية الأوربية، ففي اللغات السامية نجد إلى جانب الأفعال التي تعبر عن الزمن لأنه من مقوماتها، أدوات كثيرة تساعد الأفعال على التعبير عن الزمن بدقة. فصيغة الفعل الماضي تدل على الماضي ببنائها، وقد تدل على الحال أو الاستقبال بقرينة لفظية، أو حالية تعينها للجهة الزمنية المقصود التعبير عنها. ومن أجل ذلك أخال أنّ فندرايس لم يكن دقيقا فيما رمى به لغة الضاد واللغات السامية من افتقارها إلى وسائل التمييز بين الأزمنة المختلفة، فللعربية – إضافة إلى صيغتها الفعلية– وسائل للتعبير عن الأزمنة الأساسية الثلاثة، كما أنّ بإمكانها التعبير عن الفروق النسبية للزمن بوسائلها الخاصة كأسماء الزمان وظروفه، والأدوات المختلفة التي أسهب النحاة فيها القول في مظان النحو، وهذا ما أكده بعض من علماء اللغة الغربيين المنصفين أمثال برجستراسر في مؤلفه (التطور النحوي للغة العربية)، وبالتالي نؤكد اهتمام جماعة من النحاة بالقرائن المحددة لزمن الفعل فألفوا فيها الكتب ووضحوا معانيها ودلالاتها الزمنية الدقيقة في التركيب اللغوي، وذلك نحو معاني الحروف أو حروف المعاني، وكتاب (مغني اللبيب) لابن هشام وغيرها إلى جانب أسفار النحو العامة، والمعاجم اللغوية. كما أننا نلفت النظر إلى أنّ اللغات السامية قديمة لا تدل في الأصل على الأزمنة بالمعنى الدقيق لمصطلح الزمن، وهذا الأخير يعني تمام حدوث الحدث أو عدم تمامه فيها، فإذا كان الحدث قد تمّ وانتهى، استعملت صيغة الماضي، وإذا لم

---

[49] – حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم، دار المعارف، مصر، سنة 1971، ص 22–23.

يتم استعملت صيغة المضارع، ثمّ لما تطورت هذه اللغات اهتمت بتحديد الوقت، وعبّرت عن ذلك بإضافة أدوات خاصة، أو باستعمال أفعال مساعدة، ونلامس هذا التطور في العبرية الحديثة والسريانية المتأخرة وكذا اللغة العربية.

قائمة المصادر والمراجع

(1) – سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، (1408هـ–1988م)، ج1، ص 12.

(2) – عبد الله بوخلخال: التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج1، ص 10.

(3) – المصدر السابق، وينظر: هنري فليش، العربية الفصحى، ط2، ص 1983، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ص 129.

(4) – من محاضرة ألقاها د/فخر الدين قباوة على طلبة الدراسات العليا في مارس 1985م، بجامعة حلب، سوريا. وقد كنت من بين الحضور أي طالبا آنذاك.

(5) – ابن يعيش: شرح المفصّل، صحح وعلق على حواشيه، ومراجعة م طرف مشيخة الأزهر، غدارة الطباعة المنبرية بمصر، د.ت، ج7، ص 4.

(6) – عبد الجبار توامة: زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 76.

(7) – ينظر: عبد القاهر الجرجاني، الجمل، تحقيق علي حيدر، دار الحكمة، دمشق، ط1972م، ص5، والسيوطي جلال الدين: همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تصحيح السيد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص 9، و
Flesch Henri, S.J., L'arabe classique, (esquisse d'une structure linguistique), Ed: Dar El mqchreq; Beyrouth, 1968, P: 114

(8) – تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص 240–241.

(9) – سورة النساء، الآية 90.

(10) – ينظر: الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ط2، 1980، ج1، ص 282.

(11) – السيوطي: همع الهوامع شرج جمع الجوامع، تصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص 9.

(12) – سورة النحل، الآية 1.

(13) – ابن الأنباري: البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق د/طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ج2، ص 74، وينظر: د/إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، الأنجلو المصرية، ط6، القاهرة، 1978، ص 172.

(14) –ينظر: حسين نصار، الأضداد في اللغة، اللسان العربي، مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، جامعة الدول العربية، الرباط، المملكة المغربية، المجلد 8، ج1، ص 112.

(15) – حامد عبد القادر: معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، 1958م، ج10، ص 112.

(16) – سورة فاطر، الآية 29، وينظر: سورة الأحزاب، الآية 50.

(17) – أبو عبيدة: مجاز القرآن، تعليق د/فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بمصر، 1954م، ج2، ص 152و 155.

(18) – سورة لكوثر، الآية 1.

(19) – ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص 142.

(20) – أبو عبيدة: مجاز القرآن، ج2، ص 152.

(21) – سورة الإسراء، الآية 7.

(22) – الرضي: شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج2، ص 226.

(23) – ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، حققه وقدم له محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م، ص5، وينظر:
Flerch Henri, V. J, P: 113

(24) – سورة يوسف، الآية 12.

(25) – سورة القمر، الآية 26.

(26) – سورة النساء، الآية 124.

(27) – سورة الإسراء، الآية 97.

(28) – سورة يونس، الآية 58.

(29) – المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1399هـ، ج1، ص 221.

(30) – ينظر: المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة 1975م، ص 268.

(31) – سورة الواقعة، الآية 70.

(32) – سورة الحجر، الآية 7.

(33) – سورة النور، الآية 22.

(34) – سورة المائدة، الآية 40.

(35) – سورة يوسف، الآية 32.

(36) – سورة البقرة، الآية 75.

(37) – سيبويه: الكتاب، ج1، ص 45.

(38) – سورة الحجرات، الآية 7.

(39) – سورة هود، الآية 74.

(40) – ينظر: الفراء: معاني القرآن، ج2، ص 23.

(41) – سورة البقرة، الآية 127.

(42) – سورة الأنفال، الآية 30.

(43) – السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ج2، ص 173.

(45) – حامد عبد القادر: معاني المضارع في القرآن الكريم، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، ج3، 1961م، ص 152.

(46) – تمام حسان: العربية معناها ومبناها، ص 248.

(47) – ينظر: عباس محمود العقاد، الزمن في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج34، ص 37–39.

(48) – ينظر: تمام حسان، الأصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص 6.

(49) – ينظر: إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، ط 2، بيروت، ص 25–26.

(50) – حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم، دار المعارف، مصر، سنة 1971، ص 22–23.